# الديانة والفكر ... اليهودية نموذجا

**سنوسي فضيلة**[*]

إن الحديث عن الفكر أو (الفلسفة) اليهودية، يستدعي منا الحديث عن الديانة اليهودية لأنها تمثل مرجعية أساسية لهذا الفكر، ولعل أهم سؤال يطرح في هذا الموضوع هو **ما حقيقة أو ما طبيعة الديانة اليهودية، وكيف كانت بدايتها توحيدية؟ أم وثنية؟ وما مصدرها؟**

مرت الديانة اليهودية بعدة مراحل منذ نشأتها وإلى غاية تدوين الثورات المكتوبة والشفوية، وتقسم هذه المراحل إلي ثلاث:

**المرحلة الأولى** كانت قبل مجيء "**موسى** عليه السلام" وتسمى أيضا بمرحلة ديانة الآباء، أي الشخصيات التي سبقت "**موسى**" في التراث القديم منهم **إبراهيم** وإسحاق، و**يعقوب** عليه السلام، وقد كانت ديانة العبرانيين القديمة ديانة وثنية عرفت تعدد الآلهة قبل أن يستقر الأمر على عبادة "**يهوه**" وهو الآله الذي عبده الآباء وله عدة ألقاب منها (إيل عليون، إيل عولام، إيل شداي إيل بيتنيل)[1].

أما تسمية "**يهوه**" فهي متأخرة حيث عبد هذه الإلە بصفة مطلقة في عصر **موسى** عليه السلام والإله يهوه ليس هو إله **إبراهيم** و**إسحاق** و**يعقوب** عليهم السلام كما أشار إلى ذلك المؤرخون اليهود فالتوراة لم تشر إلي وجود هذا الإله كما أنه لم يتم اكتشاف الاسم "**يهوه**" في نصوص تنتمي إلي الفترة السابقة لعصر "**موسى**" عليه السلام، «إذ يؤكد بعض المؤرخين على أن "يهوه" قد عرفت عبادته في شبه جزيرة سيناء بين بعض القبائل

**[*]- أستاذة مساعدة، شعبة الفلسفة، جامعة د.مولاي الطاهر، سعيدة.**

**[1]- د.محمد خليفة حسن أحمد: تاريخ الديانة اليهودية و تطورها، الباب الرابع الفصل الأول، الطبعة الأولى 1997 دار قباء للنشر الطباعة و التوزيع، القاهرة، عبده غريب، ص 187.**

العربية خاصة بين أهل "مدين" وأن "**موسى**" عرف الإله "يهوه" عن طريق "**يثرون**" والد زوجة "**موسى**"»[1].

كما ينبغي الإشارة إلى أن ديانة قوم سيدنا **إبراهيم** عليه السلام، وثنية حيث كان والده يصنع الأصنام، ويقوم إخوته بتسويقها وبيعها، وقد رفض سيدنا **إبراهيم** الديانة الوثنية، ودعا قومه إلى التوحيد ولكنهم أصروا على عبادة الأصنام، وأوقدوا نارا وألقوه فيها ولكن الله سبحانه وتعالى نجاه فأدرك النبي أن قومه لا يرجى منهم خير، وغادر بلاد الكلدانيين بالعراق إلي فلسطين (كنعان) وهي أرض هاجرت إليها قبائل عربية من قبل واستقرت فيها، قبل أن ينزل إليها سيدنا **إبراهيم** وهم أبناء كنعان بن حام بن نوح ويقال أنهم أول من سكن فلسطين على أرجح الآراء.

وقد جاءت بشائر التوحيد على أيدي الآباء منهم "**إبراهيم** عليه السلام" وعن هذه المرحلة يؤكد المؤرخون اليهود على عدم وجود وحي مكتوب يعود إلى عصر الآباء، مما جعلهم يعتقدون أنه لا يوجد بناء عقائد وتشريعي متكامل لهذه الفترة التاريخية فالعبادة كانت بسيطة وقليلة الطقوس وعبادة الأصنام انتشرت في أرض بابل التي عاش فيها سيدنا **إبراهيم** عليه السلام.

أما **المرحلة الثانية** من المراحل تطور الديانة اليهودية هي مرحلة "**موسى** عليه السلام"، وهي أهم مرحلة لأنها الفترة التي تم فيها الاعتماد على الوحي المكتوب كمصدر أساسي للعقيدة والشريعة وهي البداية الحقيقية لما يسمى بالديانة الموسوية حيث استمر "**موسى**" في اصلاح بني إسرائيل والحفاظ على الديانة التوحيدية فالفترة الموسوية أعطت للديانة اليهودية قواعدها وأصولها الأساسية على مستوى العقيدة وعلى مستوى التشريع وأيضا على مستوى العبادة، وهذه القواعد والأصول استندت إلى الوحي

[1] - **المصدر السابق، ص 194.**

الإلهي كمصدر أساسي للعقيدة والشريعة، وهكذا اتضحت معالم الديانة وانتظمت في بناء ديني وأخلاقي"[1] ونشأت التشريعات التي ارتبطت بالعقيدة والعهد، وهو عهد تشريعي يشتمل على قوانين واجبة التنفيذ تتمثل في مجموعة الأحكام، هدفها تنظيم حياة الإسرائيليين وعلاقتهم بإلههم، وعلاقتهم ببعضهم البعض ولكن اليهود وبسبب تأثرهم بجيرانهم الكنعانيين ومعايشتهم للمصريين أضحوا يعتقدون بمعتقدات كثيرة، وتحولوا إلى اعتقاد بالوثنية بعدما صنع لهم "**السامري**" العجل الذهبي ليعبدوه فشوهوا فكرة التوحيد التي هداهم إليها النبي "**موسى**" وصاغوا "**يهوه**" في صورة كانوا هم عليها وجعلوا منها إلها، صارما ذا نزعة حربية واعتبروه معصوما من الخطأ إله محب للدماء، متقلب الأطوار.

و**المرحلة الثالثة** هي مرحلة ما بعد "**موسى** عليه السلام" إلى غاية انقسام المملكة، إذ وبعد وفاة "**موسى**" تتابع عدد من الأنبياء في قيادة اليهود منهم "**يوشع بن نون**" وهو من ذرية **يوسف** عليه السلام حيث دخل بنو إسرائيل في عهده أرض كنعان في شكل غزوة بالقوة وتأثروا بآلهة الكنعانيين، وبعد وفاة "**يوشع**" استخلفه "**كالب بن يوفنا**" وهو أحد أصحاب "**موسى** عليه السلام"، ثم جاء "**حزقيل بن بوذي**" لجأ في عهده اليهود إلى عبادة الأصنام أكثر مما سبق، ومن بعد **حزقيل** بعث الله إليهم "**إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران**"، وفي زمانه عظمت الأحداث في بني إسرائيل وقتلوا الأنبياء فسلط الله عليهم بدل الأنبياء ملوكا جبارين، وسلط عليهم الأعداء أيضا وفي زمن **داوود** وإبنه **سليمان** "أعطى **داوود** الشرعية الإلهية للمملكة، حيث قام بنقل التابوت الذي أخذ من اليهود بسبب فسادهم ثم أرجعه لهم الملك "**طالوت**" إلى أورشليم وشيد الهيكل بها ثم بدأ "**داوود**" بتنمية المشاعر الدينية، ورغم تعاقب الأنبياء على بني إسرائيل

---

**[1]- د.محمد خليفة حسن أحمد: تاريخ الديانة اليهودية وتطورها، الباب الرابع الفصل الأول، الطبعة الأولى 1997 دار قباء للنشر والطباعة و التوزيع، القاهرة، عبده غريب ص 195.**

وتأسيسهم بناء الدين الأخلاقي إلا أن اليهود تأثروا بمعتقدات بعض الشعوب وأضافوا بعض المفاهيم والمعتقدات إلى ديانتهم، فقد احتكوا بديانة الكنعانيين وطقوسهم وتأثروا أيضا بمعبودات الفنيقيين ومعبودات بلاد ما بين النهرين، ولعل أهم فترة في تطور الديانة اليهودية هي فترة السبي الآشوري والبابلي والفارسي، هذه الفترة أدت إلى ظهور عامل جديد هام في تطور الديانة اليهودية وهو ظهور **النبوة** بمفهومها اليهودي وتطورت إلى أن أصبحت الظاهرة الدينية الأساسية، وتسمى هذه الفترة عصر النبوة الكلاسيكية، وظهرت الدعوة إلى ضرورة العودة إلى الديانة **الموسوية** (التوحيدية) وفي هذه الفترة قام أحبار اليهود بكتابة الأسفار الخمسة الأولى من التوراة (أسفار موسى الخمسة) ومزجوها بأساطير التراث البابلي، وفي العصر الفارسي واليوناني والروماني خضعت الديانة اليهودية لأهواء الحاكمين، فقد أعطى الحاكم "**فكيروش الفارسي**" أهمية للعقيدة اليهودية وأباح لليهود إعادة بناء معبدهم في أورشليم عام 538 ق.م، ولم تتحقق هذه الرغبة إلا على أيام "**داريوس الأول**" (521 – 486 ق.م) وكان بناء هذا المعبد بمثابة المحور الذي قامت حوله العقيدة اليهودية وثقافة اليهود وقوميتهم، وهكذا خرجت الديانة اليهودية من عصر السبي والعصر الفارسي ديانة شبه كاملة في عقائدها وشرائعها، لأن العصر الفارسي كان عصر استقرار لليهودية كعقيدة، فالفرس هم الذين أطلقوا على شعبهم مملكة "**يهوذا**" اسم اليهود وأطلقوا على عقيدتهم اسم اليهودية.

ثم تبدأ **مرحلة جديدة** ومختلفة عن سابقاتها في تاريخ الديانة اليهودية، وهي تتمثل في **غزو الفكر اليوناني** الذي بقيت الديانة اليهودية عاجزة أمامه فاليونان لم يأتوا إلى الشرق بدين جديد ينافس اليهودية، ولكنهم جاءوا بمنهج للتفكير مختلف عن المنهج اليهودي، فالأول عقلي والثاني ديني أساسه الوحي كرفض للعقلية اليونانية بحجة هذا المنهج خطر على الديانة

اليهودية "فانقسم اليهود على أنفسهم إلى فريق ثان رحب بالثقافة اليونانية واعتبرها مخرجا لليهودية من دائرتها الدينية المحددة ومن الجمود الفكري الذي أصابه على يد رجال الدين والكهنة، وفريق ثالث حول التوفيق بين العقل والدين اليهودي أو بين الفلسفة اليونانية والفكر الديني اليهودي"[1]، ورغم أن المسيحية اعترفت بالكتب اليهودية المقدسة وضمت كتاب العهد القديم إلى العهد الجديد في كتاب واحد هو الكتاب المقدس إلا أن العلاقة بين اليهودية والمسيحية لم تستمر، حيث استقلت الديانة اليهودية عن المسيحية الناشئة، وكان أهم اختلاف بينهما عقائديا حول شخص "**المسيح**" عليه السلام حيث رفض اليهود الاعتراف بكونه هو المسيح المخلص المنصوص عليه في كتبهم ورفضوا الاعتقاد في ألوهية المسيح.

ولما جاء الإسلام أحسن إلى اليهود ومنح لهم حرية الاعتقاد، وأخذ اليهود يقبلون على فلسطين ثانية بعد أن حرموا منها قرونا طويلة، في ظل التسامح الديني بدأ اليهود يدرسون ويتعمقون في فهم النقد الإسلامي لليهودية خاصة النقد القرآني لها. وقد أدى رد فعل اليهودية تجاه هذا النقد (الإسلامي) إلى انقسامهم إلى قسمين، فريق الحاخامات الرافض للنقد الإسلامي، وفريق القرائيين كانوا أكثر استجابة له إذ رأوا أن في هذا ما يمكنهم من بناء دين متكامل لليهودية الأمر الذي فشل فيه اليهود من قبل.

**هذا عن المراحل التي مرت بها الديانة في تطورها ولكن مما تتكون الديانة اليهودية؟**

**العهد القديم:** "يعتمد اليهود على مجموعة من المكتوبات المقدسة ويعتبرونها وحيا سماويا، والعهد في نظرهم معناه ذلك الميثاق الذي أخذه الله عليهم ويستخدم اليهود عبارة "**سيفري هاقودش**" أو "**كتبتي هاقودش**" أي الكتب المقدسة، وأحيانا يستخدمون "**كتوفيم**" أي الكتب، ويستخدم لفظ توراة في

---

**[1] ـ فضيلة سنوسي: إشكالية التأويل في التصوف اليهودي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير سنة 2011 ص49.**

بعض الأحيان"[1]، ويشار بكلمة قديم إلى كتاب اليهود المقدس، أما العهد الجديد يقصد به التراث المقدس للنصارى من الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل، يتكون العهد القديم من 39 كتابا مقسمة إلى أربعة أقسام.

**أما القسم الأول:** فيشمل **أسفار** "موسى الخمسة والتي تسمى بالعبرية **(حوميش موشيه)** ويطلق عليها أيضا اسم التوراة أو شريعة "**موسى**" ويقال أن التوراة تعني التعليم والشريعة تحتوى على الشرائع والقوانين والشعائر والوصايا العشر التي أوصى الإله بها "**موسى**" كما تضم أخبار تاريخية عن جماعة يسرائيل وتتمثل هذه الأسفار الخمسة في (سفر **التكوين** يتحدث عن بدء الخليفة وعن أصل العبرانيين إلى غاية خروجهم من مصر، سفر **الخروج** ويروي تاريخ العبرانيين في مصر وخروجهم منها وسفر **اللاويين** ويتحدث عن واجبات الكهنة والطقوس الأخرى، وسفر **العدد** وفيه تعداد رؤساء الشعب وحاملي السلاح، وفيه أيضا أخبار تذمر الشعب، والتجسس على أرض كنعان، وسفر **التثنية** أي تثنية الإشتراع في إعادة الشريعة وتكرارها على جماعة يسرائيل.

**أما القسم الثاني:** يسمى **بالأسفار التاريخية** وهي إثنا عشر سفرا تعرض لتاريخ بني إسرائيل بعد استيلاءهم على بلاد الكنعانيين وبعد استقرارهم في فلسطين وتفصل تاريخ قضاتهم وملوكهم، وأيامهم والحوادث الباردة في شؤونهم وهي (أسفار يوشع القضاة، راعوث، صمويل (الأول والثاني). الملوك (الأول والثاني)، أخبار الأيام (الأول، الثاني)، عذرا نحميا، أستير[2].

**أما القسم الثالث** يسمى **بأسفار الأناشيد** أو كتب الحكمة وهي مجموعة من الأسفار تضم مواد تاريخية وقصصية وغنائية منها (مزامير داوود وهي أناشيد شكر الإله وسفر الأمثال ونشيد الأناشيد لسليمان وهو من الأغاني الشعبية للأفراح وهو نشيد غزل بين الإله وجماعة يسرائيل.

---

[1]- **عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهودية و الصهيونية، ص 56.**

[2]- **د . سعد الدين السيد صالح: العقيدة اليهودية و حظرها على الإنسانية ص 131.**

**<u>أما القسم الرابع</u>** فيمثل أسفار الانبياء **(نفيئيم)** يحكي عن تاريخ العبرانيين وما وقع لهم منذ موت "**موسى**" إلى غاية هدم الهيكل المقدس. وما ينبغي الإشارة إليه هو أن السامريين من اليهود لا يؤمنون إلا بالأسفار الخمسة، وسفري **يوشع** و**القضاة**، في حين يزيد النصاري الكاثوليك سبعة أسفار فيكون مجموع الأسفار ستة وأربعين سفرا. في حين إذا رجعنا إلي القرآن الكريم لوجدنا ذكر "للتوراة" وهي الأسفار الخمسة في حين باقي الأسفار الأخرى لا تعد سماوية بل هي من المؤلفات البشرية «وكانت كلمة "توراة" تستخدم بمعني وصايا أو الشريعة، أو علم أو أوامر أو تعاليم حيث استخدم اليهود "التوراة" للإشارة إلي اليهودية ككل ثم أصبحت تشير إلي البنتاتوخ (أسفار موسى الخمسة)، بعدها أصبحت كلمة "التوراة" تعني العهد القديم كله مقابل تفسيرات الحاخامات والتوراة هي القانون أو الشريعة»[1]. ويميز الحاخامات بين توراتين أو شريعتين أما الأولى فمكتوبة تلقاها **موسى** عند جبل سيناء، والأخرى شفوية يتناقلها الحاخامات عن **موسى** ولها نفس قداسة التوراة المكتوبة وأصبحت بهذا كلمة "توراة" تعنى "**هالاخاه**"، «وتستخدم كلمة "توراة" أيضا للإشارة إلى التراث الديني اليهودي ولاهوت كلمة تقابل "التوراة" وإن كان لاهوت المسيحين هو لاهوت كنيسة في حين لاهوت اليهود، هو لاهوت معلمين وحاخامات»[2]، يعتقد اليهود أن الحكمة لكل الشعوب ولكن التوراة لليهود فقط وهي مصدر الحياة بالنسبة إليهم، والشاهد على عبقريتهم الدينية وعلى اتخاذهم كشعب مختار دون سائر أهل الأرض.

وبسبب ضياع التوراة (**الألواح**) في التابوت في إحدى معارك اليهود مع الكنعانيون قام الكاهن **حلقيا** ومن بعده عزيرا بكتابة التوراة معتمدان على الذاكرة وعلى بعض الوريقات المتناثرة، بعدما عثر على

---

**[1]- د. كامل سعفان : اليهود تاريخ و عقيدة ، دار الاعتصام ص 136/135 .**

**[2]- د. عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية، الجزء 05 ص 60.**

التابوت ونقل في عهد الملك "**داوود**" إلى عاصمة مملكته وبني الهيكل ووضع التابوت في مكان يسمى قدس الأقداس.

ومن المكونات الثانية للديانة اليهودية نذكر التلمود الذي يعتبره اليهود أهم مصادر العقيدة والفكر اليهودي فهم يعملون بالتعاليم الواردة فيه فيما يخص العقيدة والفكر والشريعة والسلوك.

و**التلمود** هو كتاب تعليم الشرائع والعقائد والأخلاق اليهودية، ويتكون التلمود من قسمين، أما القسم الأول فيسمى "**المشناه**" و هي خلاصة الشريعة الشفهية، حيث يدعى اليهود أن الله أوحى إلى **موسى** عليه السلام بنوعين من الوحي: الشريعة المكتوبة وهي أسفار التوراة والشريعة المكررة، وهي التعاليم الشفهية وهي تفسير لمراد الله من تعاليم التوراة، هذه التعاليم التي انتقلت من **موسى** عليه السلام عبر أربعين جيلا شفاهة حتى انتهت إلى حبر من أحبارهم يدعى **(يهوذا هاناسي)** فدونها خشية ضياعها وتم هذا التدوين فيما بين (190–200).

والقسم الثاني من التلمود فهو "**الجمارا**" أي الشرح والتعليق وهي تتمثل في روايات ومسموعات عن الحاخانات، كما تحتوي أيضا على إيضاحات وشرح مختصر البحوث والمجادلات التي حصلت في معاهد الدرس من أجل هذه الشروح والتفاسير، وتشمل الجمارا على أمثال وأدبيات واعتقادات وأخبار ومعلومات دنيوية وطبية، وفلكية وغيرها فهي بمثابة دائرة المعارف اليهودية ولا يعتبر التلمود مصدرا للتشريع اليهودي فحسب، وإنما المصدر الأول للسياسة الصهيونية وتوجد نسختان مختلفتان من التلمود، الأورشليمي والبابلي، واليهودي يتوقف إيمانه على معرفة أحكام التلمود.

وهناك فرق بين **التلمود الاورشليمي** و**البابلي** «فالأول مادته ثلث ما يحتويه تلمود بابل وهذا الأخير يتميز بعمق منطقي وهذا ما يفتقده التلمود

الأورشليمي، كما أن تلمود بابل جمع وشرح في بابل وأساسه **(مشناه)** هاناس مع الشروح التي كتبها **(أباأريكا)** وأول من قام بتدوين هذا التلمود الحاخام **(آشي)** وكان هدفه هو وضع القوانين المعتمدة لليهود وكتب هذا التلمود في القرن (4 م) واستغرق تأليفه قرنا من الزمان في سلام وأمن، أما تلمود أورشليم ألف ما بين القرنين الثالث والخامس للميلاد. وقد جمع في فترة إظطهاد الرومان، ولغته عبرية تتخللها عبارات الآرامية الغربية أما تلمود بابل فأكثره بالآرامية الشرقية يتضمن كلمات عبرية وسريانية، ويونانية، ولاتينية وكلدانية»[1].

والتلمود هو ببساطة مجموع **التفسيرات** التي وضعها الحاخامات لشرح التوراة ولكن اليهود يضعون التلمود في مرتبة أعلى من مكانة التوراة. فأصبح التلمود موضع التقديس ويشير الحاخامات أن:«الله يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها في السماء»، و جاء في التلمود أن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله" ، كما ادعوا: "أن الله لا شغل له في الليل غير تعلم التلمود مع الملائكة ومع مللك الشياطين في مدرسة السماء"[2]، وهنا إشارة إلى أن الحاخامات يريدون تقديس التلمود لدرجة أنهم أساؤوا في هذا التقديس إلى طبيعة الله سبحانه وتعالى ووصفوه في تلمودهم بصفات لا يجوز وصفه بها، وهو الخالق العليم الذي لا تخفى عليه خافية وإن كان اليهود يقدسون التلمود ويعتبرونه مصدر شريعتهم، فإن حقيقة التلمود تكشف عن خطورته ، إذ هو أخطر وثيقة ضد الإنسانية فهو يدعو إلى تحطيم كل العقائد، والقيم والحضارات لإقامة مجتمع عالمي صهيوني يسيطر على كل دول العالم بكل الوسائل الممكنة، ومن بين الأدلة التي تثبت خطورة التلمود

---

**[1]ـ د. كامل سعفان : اليهود تاريخ و عقيدة ، دار الاعتصام ص 147 / 148.**
**[2]ـ د. كمال سعفان : مصدر سابق ص 146.**

هو أن الحاخامات أوردوا في التلمود نصوصا تشير إلى أن اليهود هم شعب الله المختار.

وانقسم علماء ومفكرو اليهود إلى قسمين، بعضهم رفض التلمود كونه نظام اجتماعي ودوغمائي متشدد لا يسمح بأي تساهل في تطبيق أحكامه حتى ولو أصبحت سخيفة نتيجة لتطور الظروف ، ففي حالة التلمود بخلاف التوراة المعنى الحرفي للنص ملزم ولا يسمح للمرء بأن يفسره خلاف ذلك، ولكن في الفترة الكلاسيكية حصل أن أحكاما تلمودية مختلفة أصبحت مزعجة للطبقات الحاكمة ولمصلحة هذه الطبقات الحاكمة ابتدع نظام مخادع يتمسك بحرفية الحكم الشرعي ويخالف روحه ومقاصده وهنا ظهر التأويل عند اليهود ومن بين مكونات الديانة اليهودية إضافة إلى التلمود والتوراة، هناك أيضا **القبالة** التي مارست التأويل.

**القبالة** كمصطلح « » هي كلمة عبرية تفيد معنى القبول أو التقبل، أو ما يتلقاه المرء عن السلف من تقاليد وتراث، وهذا الأخير هو مجموعة من التفسيرات والتأويلات الباطنية للنصوص الدينية والتي تعرف باسم الشريعة الشفوية"[1]، ويشير **جوزاف دان** أن «كلمة القبالة هي باختصار مصطلح يشير إلى الحقيقة التي تلقاها موسى من عند الله»[2]، فالقبالة«مذهب صوفي باطني يهودي يدعى في اليهودية **QBLH** وهو مشتق من الجذر **QIBEL** بمعنى تسليم المعرفة الباطنية بالإرسال الشفهي»[3]،وتشمل القبالة كل الموروثات والنظريات اليهودية التي جاءت في شكل تفسيرات رمزية للكتاب المقدس والتي تناقلها اليهود عبر العصور من جيل إلي جيل عن طريق الإرسال الشفهي، ثم أصبح مصطلح القبالة منذ أواخر القرن الثاني

---

**[1]- د. عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ج 5 مادة القبالة .**

**[2] - joseph dan – Kabalah a very short introduction Oxford University presse 2006 P 2.**

**[3]- د. صبري جرجس: التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي، عالم الكتب، القاهرة ط 1، 1970 ص 150.**

عشر(12) يدل على التقاليد الرمزية الصوفية اليهودية الذي يتناول «الفهم الثيو صوفي للذات الإلهية أي معرفة ذات الله عن طريق الكشف الصوفي و التأمل و النظرة الرمزية للواقع»[1].

يشير **القباليون** أن القبالة «هي مجموعة من التعاليم علمها الله أولا لجماعة مختارة من الملائكة والذين شكلوا بدورهم مدرسة صوفية في الجنة، وبعد هبوط آدم من الجنة إلى الأرض قامت الملائكة بكثير من اللطف والعناية بإبلاغ هذا المذهب للطفل العاصي في الأرض –**آدم** عليه السلام– ليزوده بدوره إلى طبقة السعداء والنبلاء ومن آدم مر هذا الإتصال إلى نوح ثم إلى **إبراهيم** الذي نقله بدوره إلى مصر حيث سمح الله بتسرب جزء من هذا المذهب إلى المصريين وبعض الأمم الشرقية أضافته إلى أنظمتها الفلسفية ثم تعلمه **موسى** قبل نزول الشريعة وألواح التوراة عليه وقام **موسى** بتلقين تعاليم هذا المذهب إلى شيوخ السبعين ولم يجبروا أحدا أن يكتب هذه التعاليم حتى أتى "**الربي شمعون بن يوحاي**" الذي عاش وقت دمار المعبد الثاني وهو أحد علماء **التنائيين** قام بكشف أسرار هذا المذهب لتلامذته وإبنه الحبر "**اليعازر**" ووزيره الحبر "**آبا**" اللذان قاما بعد وفاة "**شمعون**" بترتيب أطروحات هذا المذهب وسموه الزوهار **ZOHAR**"[2]، هذا هو التاريخ الأسطوري الذي قدمه القباليون لمذهبهم، أما علماء تاريخ الأديان فيذهبون إلى القول أن القبالة كمذهب ظهر في القرن (12م) «حيث وجد فكر **ثيو صوفي** في الديانة اليهودية والذي يأتي من منطقة "**بروفنس**" الواقعة جنوب فرنسا والتي أصبحت خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر مركز النشاط الفكري اليهودي حيث ترجم فيها كثير من النصوص الفلسفية العربية وغيرها إلى العبرية ومن القباليين في هذه المنطقة "**إبراهيم**

---

**[1] - The Encyclopedia of Religion 12/120.**
**[2] - S.L .Magrgor – Mathers, the kabballah unveiled www.blackmask.com P 07.**

**بن داوود**"، ولكن كتابة الرايين المتعلقة بالقبالة كانت قليلة مقارنة بالكتابات المتعلقة بها لاخاه (الشريعة) ولعل السبب في ذلك هو إسرارهم على أن تبقى تعاليم القبالة سرية تقتصر على فئة قليلة من رجال النخبة»[1].

ولكن مع بداية القرن الثالث عشر بدأ حجاب السرية ينكشف حيث قام أحد تلاميذ **إبراهيم بن داود** وهو **بتشاك** "**وعيزرا**" بكتابة الوثائق القبالية الأولى والتي تحتوى على تعليقات على الأطروحة الكونية في سفر **يتزيراه،** ثم قام ابنه "**إسحاق الأعمى** (1160 م–1205 م) تعاليمه على كتاب **الباهير** ثم قام بتطوير عقيدة **السيفيروت،** «والتي تعتبر مراحل للفيوضات الإلهية التي يعبرها الصوفي عن طريق الصلوات»[2]، وفي منتصف القرن الثالث عشر انتقل مركز القبالة إلى إسبانيا حيث نشأت حلقات صوفية تحاول التواصل مع الله من خلال التأمل في تجلياته النورانية وتهدف إلى الكشف الإلهى من خلال التأمل في حروف الكتاب المقدس وقيمها العددية وأسماء الإله المقدسة، وهنا ظهر "**إبراهيم أبو العافية**" (1240–1292) الذي إهتم بدراسة الشريعة وشروحها والمشناه والتلمود والحسابات القبالية ودرس كتب "**موسى بن ميمون**" وكان يهدف **أبو العافية** إلى تحرير الروح. وفي عام 1280 ظهر **الزوهار (النور الساطع)** وهو المنبع والمصدر للنزعات الروحية بين اليهود في جانبي التأمل الفلسفي والممارسة العلمية **فالزوهار** كما أشار **غاروشيم شوليم** (1897–1982)«يمثل الحكمة اليهودية أي نظرة صوفية هدفها الأساسي معرفة ووصف أعمال الله الخفية»[3].

كتب **الزوهار** من طرف الحكيم "**شمعون بن يوحاي**" في القرن الثاني الميلادي في عصر الإمبراطورية الرومانية وله مكانة دينية عند

---

**[1]- د. آلان أنتومان: اليهود و عقائدهم الدينية وعبادتهم، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، مراجعة أحمد شبلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر 2004، ص 185.**

**[2] - المصدر نفسه، ص 185.**

**[3] - Garchon – sholam – major trends in jewish , mysticisum , schaker books new york third printing 1997 p 242.**

اليهود، حيث يحجون إلي قبره كل عام ويعرف بعيد (قليلوت ربي شمعون).
وقد اتبعت القبالة في تفسيرها منهجا حلوليا باطنيا، وهي تؤمن بأن الإله حال في الطبيعة وفي الإنسان وفي التاريخ، ويقصد بذلك الإنسان اليهودي، وبالتالي الكل متوحد بالجزء والمادة متحدة بأجزائها وبالتالي كل شيء انعكاس لشيء آخر«هذا وقد استخدمت القبالة أربعة مناهج تأويلية فتمثل في (بشاط، الرمز، دارش ومنهج، سود) وعموما كان التأويل القبالي للتوراة يأخذ بالمعاني الحرفية للألفاظ، وأحيانا يتعمق في الكشف عن المعني الباطني، معتمدا على خياله وملكاته وثقافته وأحيانا أخرى يعتمد في تأويله على القصص الوعظية، أو يعطى للنص التوراني بعدا روحيا مثلما هو الحال في منهج سود»[1].

وكما سبق ذكره أن **الديانة اليهودية** تمثل مرجعية لعدد من المفكرين اليهود، وهي مصدر تصوراتهم الفلسفية ونذكر مثلا تـــأثر الفكر اليهودي بالقبالة، من خلال حكمها ومفاهيمها، وكذا تأويلاتها للكتاب المقدس، فتم الانتقال من **الفكر التوحيدي الحاخامي** إلى **الفكر الحلولي الكموني** خاصة مع انتشار العلمانية في العصر الحديث وظهور فكرة موت الإله التي جاء بها عدد من المفكرين الغربيين من بينهم "**فردريك نيتشه**"، فالقبالة تتقارب مع العلمانية في الحلولية الكونية التي تعني أن الإله حال في الإنسان والطبيعة وملتصق بهما ومتوحد بهما ولا يبقي منه سوى الاسم، وهذا ما يسمى في الفكر القبالي بوحدة الوجود أو الواحدية الكونية، وهي مرحلة تختفي فيها تماما المساحة بين الخالق والمخلوق وبين المطلق والنسبي وبين الإنساني والطبيعي ويصبح الإله لا يتجاوز الطبيعة بل حال فيها وفي المادة وهذه الفكرة نجدها مجسدة في الفكر النيتشوي.

**[1]- سنوسى فضيلة: مصدر سابق، ص 81.**

ومن بين المفكرين الذين تأثروا بالديانة اليهودية عامة وبالقبالة خاصة نذكر: **سيجموند فرويد** رغم أنه ينتمي إلي الحضارة الغربية التي هيمن عليها النموذج العلماني إلا أن عددا كبيرا من المؤرخين أرجعوا أصول التحليل النفسي إلى الجذور اليهودية من بين هؤلاء المؤرخين "**أرنيست جونز إيز يدور سادعر**"، وقد اعترف "**فرويد**" بأن التحليل النفسي مرتبط باليهودية لدرجة أنه اعتبر الانتقادات التي واجهها التحليل النفسي كانت جزءا من رفض الحضارة الغربية لكل ما هو يهودي.

والدارس للتراث القبالي، والتحليل النفسي يكتشف وجود تماثل بين المنظومتين القبالية والفرويدية ويرتكز هذا التماثل في مسألة تفسير الأحلام، فالحلم كما عرفه "**فرويد**" هو تعبير عن الجانب اللاعقلاني أو اللامعقول في شخصية الفرد حيث أنه توجد لدى الفرد ميول، ومشاعر ورغبات تكون دوافع لتصرفاته وأعماله ولكنه لا نشعر بها وهذه الرغبات هي لاشعورية، إذن هناك رقيب يحفظنا ويحمينا من أن نراها ولكن كبت مثل هذه الرغبات، وإزاحتها من شعورنا لا يعني أنه لم يعد لها وجود ولكنها تبقي حية بحيث توجد تعبيرات بشى أنواع الطرق، فالحلم هو رغبة لم نوفق في إشباعها لمانع أو لآخر. لتتحقق في الحلم، وهي تعود إلى طفولتنا وتواصل وجودها السري الخفي في أعماقنا والرغبات التي تظهر في الأحلام لاعقلانية نظرا لغياب مراقبة الشعور، وتظهر في الحلم على شكل رموز ومنها الأكثر شيوعا –كما يقول **فرويد**– هي "ذات الطبيعة الجنسية ولتفسيرها يجب أن تجزأ الحلم على عدة أجزاء ثم نسعى إلى إيجاد الترابطات الحرة المناسبة لكل عنصر من عناصر الحلم، ونحل الأفكار التي تخطر ببالنا في أثناء عملية التداعي الحر محل العناصر الظاهرة في الحلم ونجمع الأفكار التي

توصلنا إليها بواسطة **التدافق الحر**، فنحصل على نص جديد له منطق داخلي يكشف عن المعنى الحقيقي للحلم"[1].

وهنا نلمس تماثلا مع التأويل القبالي للنص التوراتي، فالتوراة حسب القباليين هي مجرد مادة خام **(هيولي)** يشكلها المفسر القبالي بالطريقة التي يراها حسب هواه «كما يوجد تماثل آخر بين المنظومتين في فكرة الخلاص، فالقباليون يرون أن الخلاص يتم من خلال معرفة الإنسان لذاته والصيغ السحرية التي يمكن من يتم خلالها فك شفرة الكون ومعرفة الإله الأعظم، أما "**فرويد**" فالخلاص عنده يتم من خلال فك شفرة أحلام المريض ومعرفة سبب عصابة»[2].

إضافة إلى "**فرويد**" هناك مفكر يهودي تأثر بالتلمود ومضامينه وحاول أن يجسد هذه المضامين في تصوراته الفلسفية وهو "**إيمانويل ليفيناس**" وهو فيلسوف فرنسي من أصل يهودي ولد عام 1905 وتوفي عام 1995 يعرف باسم **فيلسوف الغيرية** وقد اهتم بالبحث في المبادئ التي يقوم عليها علم الأخلاق واتهم الفكر الغربي بأنه أقصى جانبا مفهوم الخير. واهتم أيضا بدراسة العلاقة بين الأنا والآخر، وأهم ما يميز تفكيره في مسألة الغير هو هواجسها العلمية، وقد أشار **ليفيناس** منتقدا فلسفة **ديكارت** الذي أعطى أولوية للأنا وحريتها المطلقة التي لا يمكن إلا أن تؤدي في نهاية الأمر إلى حرية الهيمنة والتسلط على الغير، فالأنا حسب **ديكارت** لا تحتاج إلى الغير في تعيين آنيتها لأنها تعني ذاتها، ولكن **ليفيناس** يؤكد على ضرورة وجود الغير وقد اعتبر الذات مضيافة وأنه من مسؤوليتها مساعدة الغير من جهة والشعور بالمسؤولية اتجاه الغير، بدلا من سعي الذات إلى الحرية المطلقة فهو يؤسس العلاقة بين الذات والغير داخل الإيتقا وليس

---

**[1]- إريك فروم : الحكايات و الأساطير و الأحلام ، ترجمة ، صلاح حاتم، دار الحوار للنشر سورية، ط:الاولى 1990. ص 60.**

**[2]- سنوسي فضيلة :إشكالية التأويل في التصوف اليهودي ، القبالية ألموذجا ، مذكرة ماجستير 2011 ص 109.**

داخل المعرفة، إضافة إلى تأثره بالتلمود، تأثر أيضا بالفكر القبالي حيث يتجسد هذا التأثير في شعور الذات بالمسؤولية اتجاه الآخر، ويوجد في القبالة إشارة إلى مبدأ **الإيثار** أي **اللاأنانية** «وهو مبدأ يؤسس العلاقة بين الذات والآخر على المحبة والتعاون والتضحية وهو مبدأ موجود في الطبيعة وبين الكائنات الحية وحتى بين أعضاء جسم الإنسان فالحكمة القبالية لا تطالب من الإنسان كبت الدوافع الأنانية بل تعترف بها وتشرح للإنسان كيف يستخدمها»[1]. وإن كانت الفلسفات الغربية فصلت بين الجسد والروح، وأن هذه الأخيرة ترقى إلى نفس إلهية مسجونة في هذا العالم من طرف الجسد، فإن الفلسفة اليهودية توافق ما جاء في التلمود، حيث أنه يؤكد على الترابط الموجود بين الجسد والروح.

وقد تأثر **ليفيناس** بهذه الفكرة "فالسكن عنده المرأة التي تعمل على الربط بين أفراد البيت لخلق وحدة بينهم" إذ يقول «لم يقع الجسم كحادث في الروح، بل هو في الحقيقة الأسلوب الذي يكون فيه الكائن موجودا على إنفراد لا فضائي ولا أجنبي للبعد الهندسي أو الشكلي، السكن في مكان ما هو حدث موجود منذ القديم، ويتعلق بما يجب للحدث الذي يكشف البعد الشكلي الهندسي أن يكون مفهومنا وليس العكس»[2]. والقبالة من خلال ما ورد في التلمود تشير إلى أن الغرض من الوجود هو إعادة الربط بين أجزاء الكون المنفصلة. وفي التقاليد اليهودية لن يكون الخلاص إلا إذا سكن اليهود يتوحد الوطن أو الأرض الموعودة فهي السكن (**البيت**) الذي يجمع شتات اليهود. ويشير **ليفيناس** إلى ضرورة الربط بين الذكر والأنثى باعتباره كل طرف منهما يعتبر بالنسبة للآخر غير فيقول «إذا كانت المرأة تكمل الرجل فإنها لا تكلمه كجانب يكمل آخر في الكون، لكن كما كان

---

**[1]- ميخائيل لايتمان: من الفوضي إلي الانسجام، الكتاب مترجم من طرف المؤلف إلي اللغة العربية ص 56.**

**[2] - Levinas the dwelling , totality and bufinity trans lingis ; pithburgh : duquesne up 1998,p 36.**

المجموعتين يكملان بعضهما البعض والتي هي بعد كل شئ معجزة العلاقات الاجتماعية»[1]. وما نستخلصه أن **ليفيناس** في تأسيس لعلاقة الأنا بالآخر يرتكز على تحليل أخلاقيات استمدها من التراث اليهودي القبالي الذي يدعو إلى ضرورة تحرير المرأة من سيطرة الرجل وتخليصها من تمركزها على نفسها فهما متكاملان، ولكن لا يعني هذا التكامل سيطرة الرجل على المرأة وسلبها حريتها ووجودها، فالعلاقة بينهما يجب أن تؤسس على **أسس أخلاقية.**

وقد أشار **فابيان** وهو مفكر يهودي إلى موقفه من التلمود قائلا الحياة اليهودية حتى هذا اليوم مؤسسة بشكل كبير على التعاليم والأسس التلمودية فطقوسنا، وكتاب صلاتنا، واحتفالاتنا وقوانين زواجنا بالإضافة إلى قوانين وأسس أخرى كثيرة مستخرجة مباشرة من التلمود، والتلمود هو الذي تعزى إليه الصفات التي يتميز بها اليهودي ...

**[1] - Levinas – judaism and the feminine – difficult freedong : essays of judaism trans haud – london tholone 1990 pdf p 54.**